نـافـذة

بعيداً عن الذاتية..

لم أعد أذكر التاريخ بالضبط، ولكن أستطيع تذكر النبأ الذي تحدث ذات يوم عن وفاة كارلوس رومولو وزير خارجية الفلبين وكان قبل ذلك أحد موقعي ميثاق الأمم المتحدة في سنة ١٩٤٥.

يوم وفاة رومولو، تحدثت الصحف عنه مطولا مشيدة بمكانته السياسية والأدوار التي لعبها منذ أن بدأ معلما وصحفيا إلى أن انتخب رئيساً لمجلس الأمن في سنة ١٩٥٧ مرورا بمنعطفات أخرى، حتى بلوغه سنة وفاته السادسة والثمانين من عمره.

وكان اللافت، في اليوم نفسه، أن عدداً من الوفيات في أرجاء الفلبين ذكرت أسماء أصحابهم حسب القوائم التي تنشر عادة في الصحف، بيد أن أحدا لم يأت على ذكر تفاصيل حياتهم باستثناء الحديث مطولا عن حياة رومولو الذي كان له الفضل في الارتقاء ببلده على مختلف الأصعدة.

إن حدثا كهذا، لا أعتقد أنه يعني أحدا منا في الوقت الراهن لأنه أصبح من الماضي بل الماضي البعيد نسبيا. بيد أنه – كمثال اخترته – يطرح مسألة من المفيد الإشارة إليها وهي أن الذين يرحلون إلى الدنيا الآخرة لا يأخذون معهم شيئاً بل، بالعكس، يتركون وراءهم كل شيء. وفي التاريخ، كما تروي لنا كتبه، أن الإسكندر الكبير، أوصى بأن يرى الناس قبضة يده خارج التابوت يوم حمله إلى مثواه وهي خالية تماما مما جناه في حياته كقائد عظيم. وكان المشهد، بحدّ ذاته، درسا لمن سار وراء النعش، وأيضاً من الدروس المستدامة في حياة من يعتبر من معاني هذه الوصيّة اليوم وفي كل يوم.

إن البعض من الناس يعتقدون أن ما يتركه الراحل عن دنياه لا يقدم ولا يؤخر، والبعض الآخر منهم يعتقدون أن لا مجال للمقارنة بين أن يورث الراحل لذويه ما يجعلهم يفخرون بما ترك أو بجعلهم يخجلون. المسألة، بهذا المعنى كما نعتقد، ليست مسألة ذاتية بحتة ينتفي الشعور بآثارها مع الرحيل الأبدي، ولكنها أشمل من ذلك بكثير لأنها تتصل بشعور من تركهم وراءه زوجاً كانت أم أولادا أم أحفادا وحتى معارف وأقرباء وسوى ذلك.

وبطبيعة الحال، لا يمكن أن يقارن إنسان كان مجرد عابر سبيل في الحياة، أو كان عدوا لها، على غرار من يعبث بتاريخنا وبتراثنا الحضاري في هذه الأيام مدفوعا بنزعة الحقد والتشفي والعمالة للخارج، مع إنسان آخر ترك حياته وله على صفحات تاريخه بصمات مواقف مشرّفة لا تزول آثارها مهما طال الزمن.

في سياق هذه المسألة، البعيدة عن الذاتية، نقرأ للفيلسوف الفرنسي شارل مونتيسكيو [١٦٨٨ – ١٧٥٥] قوله: بقدر ما يكون الرأس مثل إناء فارغ بقدر ما يسهل ملؤه بما نشاء.

فماذا أكثر مما امتلأت به رؤوس أعداء بلدنا اليوم من سوائل الحقد على البشر والشجر والحجر؟

د. اسكندر لوقا

كتاب دمشق.. حاء الحب.. راء الحرب

رؤية لما يجري في سورية يقدمها روائياً هزوان الوز..

| إسماعيل مروة

دمشق – الشام – شام مفردات الرواية الجديدة للروائي الدكتور هزوان الوز، وفيها لا يقارب بل يدخل في عمق الأزمة السورية، والحرب التي يشنها على سورية العالم الخارجي وأبناؤها في الوقت نفسه، ويقدم نصاً فيه من التقنيات الروائية ما يجعله مغامرة معرفية بالمكان والأسماء والأشخاص، إذ لا يكتفي بشخوصه، وإنما يخلق في العمل ثنائيات موفقة بين الشخصيات تجعل العمل باقة معرفة ومتعة في الوقت ذاته، ومن هنا كان العنوان «كتاب دمشق» موفقاً لأنه احتفاء بالمكان، وتأكيد حتمية بقاء المكان مع زوال الإنسان أو الناس، بالغياب أو التغييب! بالهرب أو التهجير، ليقدم رواية فيها من دم الحسرة أكثر ما فيها من دمع البكاء والشفقة، موزعاً دم الحسرة ومسؤوليته على كل طرف من أطراف الصراع.

هزوان الوز وزير التربية

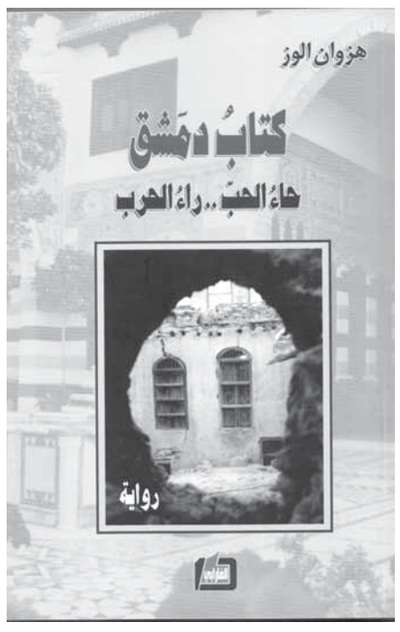

الشام وشام

الشام المدينة، وشام الابنة ثنائية عزفت عليها الرواية من الصفحة التمهيدية قبل الرواية، وحتى آخر جملة فيها، وتصدمك المقدمة المقبوسة عن معجم البلدان، وأنت تدخل في ملكوت الرواية، ولكنك ما إن تستمر فيها حتى تكتشف العلاقة الحميمة التي تربط الكاتب الراوي والبطل الغائب بهذه المدينة العظيمة، حيث يختم روايته «أما الشام، دمشق، سورية، فلا بدّ، لابد أنها كانت تشارك شام الكتابة، ولذلك لا تحتاج لكي تقرأ».

ثنائية شام المدينة، وشام الابنة التي ألصق بها مهيار الاسم الأحب إلى ذاته، بل الاسم الذي يسكنه ويسكن جوارحه أتاحت له أن يغوص في المكان من دون أن يوسم هذا الغوص بالحشو والترهب، فاستلّ الروائي في أماكن عدة من روايته مقاطع عن الشام وعظمتها وأسواقها وتاريخها للتدليل على هول ما يجري على أرضها، وإعطاء القيمة الحقيقية لها، والتي تعطيها سمة البقاء والانتصار، والخروج مما يجري، ذلك في الوقت الذي غابت شام الابنة إلا من ذكر بسيط حتى شبّت في النهاية، وصارت تعي ما يجري وهي على أبواب الجامعة... وبين الشام وشام يظهر الروائي ليقول إن الرحمة المتمثلة في شام الابنة لا تنتهي، وتشبه شام المدينة والمكان، فهي تشفق على من هجرها وأساء إليها، وتسأل عنه من خلال سؤال شام عن أمها جمانة التي هجرت الثنائية (المكان، الابنة) وصارت غريبة عنها، لكنها تشفق عليها، وفي الوقت نفسه لا تسمح للسانها أن ينطق بلفظ الانتماء والأمومة... إنما تشفق عليها، ولكنها لا تشتاقها، مع أن الروائي فتح الباب مواربا لجمانة التي تبرأت مما يسمى «الثورة» ونالها ما نالها من اتهامات، إلا أن تاريخ جمانة الذي عبّر عنه الكاتب بلسان الراوية البطلة التي تختصر بثنائيتها رأي المدينة والابنة، إنها جيفة قسمت قسمين هي والمدير الفاسد!

فهي تصفح شام الابنة؟

وهل تخدع الشام المدينة؟

والجيفة العفنة هل هي يتغير جوهرها؟!

بين إشكالية الحب ووقع الحرب في سورية

الحب صورة للحرب

تخلص الروائي من مأزق المباشرة بالتناول عن طريق اختيار نماذجه وأبطاله، فنحن في وسط صحفي متشابك العلاقات، وإشكالية الحب والشهوة والجسد تتجسد في أبرع حالاتها، فالبطل مهيار الذي لا يغيب عن صفحة من صفحات الرواية غير موجود أصلاً، وإنما يتم استدعاؤه بالتذكر من الرواية التي تحمل على عاتقها سرد الحكاية، واستحضار المحبوب النجم والشام وشام، من خلال قصاصات هي بين يديها تمارس فيها الحضور لغياب ملغز لم يفك رمزه إلا بإشارات في الخواتيم.

عهر جمانة ويعرفه مهيار، لكنه يتزوجها وينجب شام، مع ما يحمل ذلك من دلالة، والراوية أريج هي المحبة التي تمنحه الجسد والحب، تقدم فلسفتها في الحب، وتفسر التناقضات التي يقع فيها المحب الحقيقي، والخيبات التي يتعرض لها المحب، خاصة عندما يصل مرحلة اليقين أنه ليس محبوباً من الآخر، وأنه مجرد جسد، وها هي تعترف بعمق إحساسها بأنها لا ترى ذاتها إلا جسداً وعاهرة، وبأن كلامه الذي تحبه أصحبت لا تحبه لأنه يقال للكثيرات، وكانت شاهدة على مجانية حبه قبلاته وتعابيره، وهي تريد عبارة خاصة بها، لكن لا يقولها للأخريات، فالحب جعلها تعرف، تتألم، تقبل، لكنها تريد تميزاً وتفرداً في الكلمات الخاصة التي يتخمها بها، ولكن اليقين يزداد عندما لا تجد اهتماماً بها رسالة أو هاتفاً، أو هدية في عيد ميلادها إكراماً لجمانة التي يخشاها وعلاقته فيها ليست على ما يرام.

«للأسف حظي سيئ– وهو ما تسميه أنت مخابراتية! فمرة أسمعك تقول حبيبتي لفلانة ومرة أخرى ترسل قبلاتك ببذخ لأخرى.. ما أعلمه أن يميز حبي لك عن غيري أنه حقيقي صادق، لا هو ليأس، ولا هو مجرد اعتياد، ولا هو لمنفعة ولا هو عهر... فكم أتمنى ألا تحرقني.. ألا تقتل روحي.. ألا يكون أمانك وهماً، آمل أنك لن تجعلني أكره ذاتي وأحتقرها لأني قررت أن أحبك وأحبك، كما لو أنه أمر سماوي لا أستطيع عصيانه».

الحب صورة للحرب والانتماء، وكأن المؤلف يريد أن يجعل رواية الرواية صورة عن سورية التي تعبر عن حبها لمن هم لها، وتقوم بتشريح مواقفهم منها في كل فاصلة من الفواصل!

يوميات الحرب وتوثيقها

عكف الروائي الوز على تسجيل دقيق لبعض العلامات في الحراك السوري من بداياته وإلى اليوم الذي انتهت فيه أحداث الرواية، فسجل بيان درعا الذي سمي يومها «بيان الحليب»، وعلى لسان البطلة أدان من أدان، ووقف عند القضية الإنسانية التي حملها بيان الحليب، ووزع الأدوار بين جميع الجهات التي تؤيد البيان أو تدينه، وسجل بتسلل جمانة الزوجة التي لاتؤدي دورها تجاه شامها وابنتها شام تظاهرة المثقفين عند جامع الحسن، والتي كانت علامة فارقة في ذلك الوقت، واعتمد كذلك على رواية الحدث من وجهة نظر الرواية التي اختلط عندها الكره لجمانة وحبها لمهيار في إعطاء أحكامها على كل من خرج من المثقفين، والفنانين كذلك، وساقت مفارقة نكران جمانة لمشاركتها في التظاهرة عندما تحدثت، وفي الوقت نفسه المفاخرة بالمشاركة عندما تحدثت إلى وسائل إعلام خارجية، ومما لا ريب فيه أن الروائي أجاد في جعل هذا التوثيق في مكانه وغير مقحم بين صفحات الرواية، ولكن انطلاق الرواية من وجهة نظر الحب والكره والإدانة جعل ما تقوله وجهة نظر الراوي، وليس وجهة نظرها هي وحدها، وربما كان للمكانة التي يتمتع بها الروائي الأثر في سرد الحكاية على لسان البطلة المعطاء دوماً، وصاحبة فلسفة الحب الخاصة!

وكذلك عرّج الروائي على ما حدث في مناطق عدة من سورية، وخصّ حلب باهتمامه، وحاول التفصيل في حياة وأسماء الجماعات المسلحة، ليجد حديثاً عن ظاهرة الاختطاف وظاهرة الافتداء التي شاعت معتمداً على كون الرواية على لسان البطلة التي استمرّ غياب محبوبها مهيار تسعة أشهر، وهي تتابع مع ابنته شام معرفة مصيره، فهو غير موجود لدى الأجهزة الأمنية كما أخبرهم أحد المتنفذين، لذلك لابد من متابعة الجهة الأخرى التي من الممكن أن تكون قد قامت بعملية الاختطاف لمهيار وهو يشتري حاجياته وتبقى سيارته علامة..!

ولم تنس الرواية بقلم راويها أن تضيف شيئاً من التشويق لما رأته من تذبذب رأي مهيار تجاه ما يجري في سورية بين أن يعدّ الأمر ثورة في أوراق غير منشورة، وبين موقف معلن، من دون أن ينسى الراوي مواقف مهيار في نقد المسؤولين والفاسدين، وتؤدي الراوية دور الناصح لمهيار بأن يخفف.. مهيار الرمز لم يعد موجوداً، لكن الإدانة التي أرادتها الراوية المحبة تشير إلى تضامنه مع جمانة عندما هاجمها خصومها لأنها عادت عن تأييدها لما يسمى الثورة! فهل كان مهيار مثالاً أكثر خبثاً من جمانة؟!

بين حب ووطن

على الرغم من كل سياق الحب والعاطفة الذي ساقه الراوي، لكن البطل مهيار لم يكن مستحقاً لذلك النبل في الحب، وهو المتنقل الناكر للحب الحقيقي الذي يأتي من الراوية، وربما يمثل هذا مع قراءة الراوية لقصاصاته ومواقفه حكماً على أن الذي لم يخلص في حبه ولم يكن صادقاً، لم يكن كذلك مع وطنه، لذلك بقيت الأرومة الجد والجدة، وبقيت شام المستقبل والراوية بعد أن شاع خبر الضربة الأميركية المتوقعة.

رواية للشام وتاريخها وحاضرها وإنسانها، وللذين اختاروا الشام مكان إقامة، ولم تكن لديهم عند ذاك الذي تستحقه من التقدير والحب، فاختلطت لديهم المشاعر والأفعال، وتبقى شام من ياقوت الحموي إلى شام مهيار، وستنجب شام من يستحق أن يحيا في هذه المدينة الخالدة.

الاحتفاليّة المسرحيّة (قمر شام)... شعر وموسيقا وغناء في حضرة المسرح

أجواء دمشقيّة حميميّة في إبداعات المعهد العالي للفنون المسرحيّة

| الوطن

«أوّل الحكاية» تظاهرة مسرحيّة للمعهد العالي للفنون المسرحيّة، حملت عنوانها هذا، إيذاناً لبداية موسم دراسي جديد، أرادته إدارة المعهد العالي خطوة إبداعيّة تحمل مجموعة من النشاطات التي رتبها أهل المكان من طلاب ومتخرجين في إيقاع منسجم خلال الأسبوع الأول من النشاط الدراسي في موسمه الجديد.

في أول الحكاية

النشاط الأول كان في «قمر شام» الذي حمل حالة يصعب توصيفها في الشكل والتسمية، لكن يمكن أن نكتب عنها المزيد، وذلك لفرادتها ونجاحها بين المجموعة التي قدّمتها والجمهور الذي هام في استقبالها، وقبل البداية كانت كلمة ترحيبيّة لعميد المعهد العالي للفنون المسرحيّة «تامر العربيد» الذي أعلن من خلال هذه الكلمة بداية الموسم الدراسي الجديد، والغاية من نشاطات فاعليّة «أوّل الحكاية»، ورحب بالضيوف القادمين من خارج المعهد، وبالطلاب الجدد المسجلين في الأقسام الخمسة، وأشاد بدور المعهد في تنمية الإبداع الفني في سورية وإطلاقه للمواهب، والعمل على صقلها، فكان هذا غاية تأسيسه، والتي لا بدّ من الاستمرار فيها وبنشاطاتٍ متلاحقة.

سهرة شاميّة مُمسرحة

الفنان «كفاح الخوص» الذي أعدّ للاحتفاليّة المسرحيّة «قمر شام» وأشرف عليها، ذكر أن هذه الاحتفاليّة يصعب توصيفها، فهي ليست عملاً مسرحياً بحتاً، ولا عملاً غنائياً بحتاً، ولا أمسية من الشعر فقط، أو من الموسيقا فحسب، بل إنها مزيج من كلّ ما ذُكر، وهي منمنمات تشبه الشام، وفي تصريحٍ خاصّ لـ«الوطن» يقول: «حاولنا أن نقدم سهرة من الغناء والشعر والموسيقا وكانت الفكرة أن نقدمها في المسرح المكشوف خارج بناء المعهد العالي للفنون المسرحيّة، بمعنى سهرة تشبه السهرات الدمشقية القديمة، لكن الطقس لم يتحالف معنا، وبالتالي اتجهنا نحو فضاء جديد، ووقع الخيار على المسرح الدائري وبالتالي قررنا ترتيب السهرة بصورة مُمسرحة في دخول المشتركين في العرض وخروجهم وطريقة المشي والوقوف والتحدث إلى الجمهور، وقد قصدنا جميعنا حالة من التعاون فالجميع له حق في الكلام وتقديم نفسه ولا حالة فردية ستتفوق على حالة أخرى بل العمل يتسم بروح الجماعة والتعاون».

لغة الشعر والحكاية

بلغة شعريّة كانت بين الشعر المحكي والتفعيلة والنثر والزجل جاءت حواريّة للثلاثة الذين لعبوا دورهم في الإلقاء وهم «كفاح الخوص»، و«عدنان أزروني»، و«وئام الخوص»، فكان لكلّ منهم لوحته التي ينفرد فيها ثم يأتي اللقاء في لوحات أخرى، وعبر كلمات منظومة في الإلقاء والتعبير الحسّاس كان الجمهور أكثر انسجاماً وتمايلاً مع المعاني وأسرار الكلام ضمن المسرح الدائري في المعهد، مسرح الفنان الراحل «فواز الساجر»، وكيف لا يكون هذا الأثر والكلام مزيج بين الحبّ والشام والوقت الذي نمر به ضمن مكانٍ بات بوصلة إبداعيّة لكلّ أنواع الفنون في سورية. فتمضي ساعتان والثلاثة يتنقلون بصورهم الشعريّة بين معانٍ من العربيّة والكلام القريب إلى القلب مع مفاجآت الوصف البديع الذي جاء ساحراً للكثير من المتابعين لتنطلق منهم ردّات فعل كانت بين تحيّة هؤلاء أو التصفيق أو ذرف الدموع. وبصورة استثنائيّة قدّم الشاعر «عدنان أزروني» مجموعة من أشعاره التي نظمها على الطريقة التقليديّة، فتفرّد في مساحته هذه، فكانت خارج سياق الحكاية، لتضيف لوناً جديداً على الاحتفاليّة.

غناء وطرب

للفنانة «ميس حرب» صاحبة الصوت الأكثر نقاءً بحضوره الجميل والشفاف، فكانت بين كل مفصل وآخر تطلّ علينا بأغنية أو مقطع من صوتها الساحر ليكون خلفيّة إيقاعيّة لطيفة يستند إليها الشعراء الثلاثة في الإلقاء، وقد جاءت الأغاني بين أغنية السيدة فيروز «بيذكر الخريف» وأغنية «طلّ الورد» التي لم يؤدها أحد غير السيدة فيروز فقط، وأغنية «شو في خلف البحر» للفنانة «سلوى القطريب» وأغنية جديدة بعنوان «يا غيم فوق الشام» قدّمتها «ميس» في مسرحية الطريق إلى الشمس سابقاً وهي من كلمات كفاح الخوص ومن الحان طاهر مامللي.

براعة لغة الموسيقا

رافق احتفاليّة «قمر شام» عزف لثلاثة طلاب في المعهد العالي في قسم الموسيقا وهم: «أحمد اسكندراني» الذي عزف على الناي، و«طارق المسكي» على الغيتار، و«لؤي بشارة» على العود، فكان هؤلاء الثلاثة حملة الجزء المتمم لنجاح الاحتفاليّة نحو مكان ينأى عن الوصف والمقارنة، فقد برع ثلاثتهم في إضفاء جو حميمي يحمل التفاؤل وطابع الفرح ليكون إعلاناً حقيقياً عن موسم دراسي جديد يتجه إلى النجاح والاجتهاد.

وأيضاً

في هذه الاحتفاليّة أيضاً تمّ عرض فيلمان قصيران، الأول جاء في المقدّمة، وهو من إخراج «يزيد السيد»، بعنوان «نقطة الصفر» أو «Point Zero» الحائز جائزة الاستحقاق في مهرجان «لوس أنجلوس» السينمائي، وهو من تمثيل ورقص الفنان «حسين خضّور»، أما فيلم الختام فكان لـ«أوس رستم» الذي يتحدّث بلغة الحركة وبصور إبداعيّة عن نشاطات المعهد العالي للفنون المسرحيّة في أقسامه المتعددة، من خلال حركة الطلاب، ولقطات تخصّ وترمز لنشاطات هذه الأقسام، وقد كان لـ«أوس رستم» إشرافه على سينوغرافيا العرض، والتي كانت متكاملة في إضفاء المزيد من لغة الانسجام بين عناصر احتفاليّة «قمر شام». أمّا تنفيذ الإضاءة فكان لطلبة قسم التقنيات المسرحيّة ـ السنة الثانية: «فراس العربيد»، و«منتجب عيسى»، و«كنان يوسف»، و«رامي الظللي»، و«القاسم أحمد»، و«أسعد سنديان»، و«عمر العواني»، و«طاهر سلوم».